

المحاضرة التاسعة: علم التاريخ عند العرب (الجزء الثاني)

في الجزء الأول من هذه المحاضرة، استعرضنا نشأة الفكر التاريخي عند العرب، بدءًا من التأريخ الشفوي في العصر الجاهلي، مرورًا بأولى محاولات التوثيق في ظل الإسلام، وصولًا إلى ازدهار الكتابة التاريخية خلال العصر العباسي. رأينا كيف انتقلت الكتابة التاريخية من تسجيل الأنساب وأيام العرب إلى التدوين المنهجي الذي واكب تطورات الدولة الإسلامية، حيث ظهرت مدارس تاريخية متعددة تعكس الاهتمام بالأحداث السياسية، الفتوحات، والتغيرات الاجتماعية.

في هذا الجزء الثاني، سننتقل إلى دراسة "منهجية المؤرخين العرب"، وكيف انتقلوا من الرواية الشفوية إلى التدوين المنهجي، متأثرين بتطور العلوم الأخرى كالتفسير والحديث والجغرافيا. كما سنناقش مراحل تطور الكتابة التاريخية، بدءًا من السرد الحولي العام، مرورًا بالتخصص الموضوعي، وصولًا إلى التأريخ الفلسفي والاجتماعي، حيث برز مفكرون مثل ابن خلدون الذين أعادوا تشكيل منهجية الكتابة التاريخية من مجرد سرد للأحداث إلى تحليل للعوامل المؤثرة فيها.

إذن، سنبحث في العوامل التي دفعت العرب إلى الانتقال من الشفوية إلى التدوين المنهجي، وتأثيرات الترجمة والانفتاح الحضاري على تطوير أساليب المؤرخين في التحليل والتفسير، مما جعل الكتابة التاريخية في الحضارة الإسلامية نموذجًا متقدمًا أثر لاحقًا في الفكر التاريخي العالمي.

سادسًا: منهجية المؤرخين: من الرواية الشفوية إلى الكتابة المنهجية

1_ الرواية الشفوية:

1_ قبل انتشار الكتابة، اعتمد العرب على الرواة لحفظ ونقل الأحداث، وكان الإسناد (سلسلة الرواة) عنصرًا حاسمًا في ضمان مصداقية القصة.

2_ هذا الأسلوب استمر في أوائل عصر الإسلام مع توثيق السيرة النبوية من خلال روايات الصحابة والتابعين.

2_ بداية التدوين:

1_ ظهرت الحاجة إلى كتابة التاريخ في العصر الأموي، خاصة مع توسع الدولة الإسلامية. أولى المحاولات شملت تسجيل الأحداث الكبرى مثل الفتوحات والمعارك.

2_ اهتم المؤرخون الأوائل بجمع الروايات وتدوينها كما وردت دون تدخل كبير، مثال ذلك: سيرة ابن إسحاق.

3_ التدوين المنظم: في العصر العباسي، شهد التاريخ تطوراً منهجياً نوجزه كما يلي:

1_ التحقيق والتدقيق ظهرت فكرة تصفية الروايات من الشوائب والمبالغات، كما فعل الطبري في كتابه "تاريخ الأمم والملوك".

2_ التخصص الموضوعي: بدأ المؤرخون بتقسيم التاريخ إلى موضوعات مثل التاريخ السياسي، الاجتماعي، الثقافي، والعسكري.

3_ النقد والتحليل: تطور منهج النقد مع مؤرخين مثل المسعودي، الذين بدأوا بتحليل الأسباب والنتائج بدلاً من الاكتفاء بالسرد.

سابعاً: تطور الكتابة التاريخية: المراحل المختلفة وأسباب ازدهارها في العصر العباسي

1_ المرحلة الأولى: التاريخ العام الشامل

أ_ كتب مثل "تاريخ الأمم والملوك" للطبري جمعت كل الأحداث التي وصلت إلى المؤرخ، مرتبة زمنياً.

ب_ كان الهدف هو تقديم سجل شامل للأحداث، مما جعل هذا الأسلوب يناسب تطلعات الدولة الإسلامية الناشئة لتوثيق توسعها وتأثيرها.

2_ المرحلة الثانية: التخصص والتفصيل بدأ المؤرخون بالتخصص في موضوعات محددة:

أ_ التاريخ العسكري: وصف الحروب والفتوحات بالتفصيل.

ب_ السير والتراجم: التركيز على الشخصيات المؤثرة مثل الخلفاء والقادة.

ج_ التاريخ الجغرافي: مثل كتاب "المسالك والممالك" لابن خرداذبة.

3_ المرحلة الثالثة: المنهج الفلسفي والاجتماعي

أ_ تأثرت الكتابة التاريخية بالفلسفة الإسلامية والفكر العقلاني.

ب_ ابن خلدون يُعتبر النموذج الأبرز لهذه المرحلة، حيث قدّم تفسيرًا اجتماعيًا للتاريخ وأدخل مفهوم "علم العمران"، موضحًا العلاقة بين البيئة الطبيعية، الاقتصاد، والسياسة في تشكيل التاريخ.

4_ أسباب ازدهار الكتابة التاريخية في العصر العباسي:

أ_ الدعم الحكومي: الخلفاء العباسيون كانوا يرعون العلماء ويمولون مشاريع التدوين والتأليف.

ب_ التوسع الحضاري: امتداد الدولة الإسلامية جعل المؤرخين يسجلون تفاعلاتها مع الثقافات الأخرى.

ج_ نهضة الترجمة: حركة ترجمة النصوص اليونانية والفارسية والهندية أثرت على تطوير منهجيات جديدة في التفكير والتحليل.

د_ تطور العلوم: تقدم العلوم الأخرى كاللغة والجغرافيا والفلسفة أثر في تعزيز جودة الكتابة التاريخية وجعلها أكثر شمولية وعمقًا.

ثامنا: أسباب تطور المنهجية من الرواية الشفوية إلى التدوين الممنهج

1_ توسع الدولة الإسلامية:

_ الحاجة إلى توثيق الفتوحات والتطورات الإدارية.

2_ انتشار الورق وصناعة الكتب:

_ ساعدت المراكز الثقافية مثل بغداد ودمشق على تسهيل كتابة الكتب ونشرها.

3_ التأثيرات الثقافية:

_ الترجمة من الفارسية واليونانية أضافت أدوات نقدية وتحليلية للمؤرخين العرب.

